وقوله (ليلا أو نهارا) ترديد في الوقت لإثارة التوقع من إمكان زوال نضارة الحياة في جميع الأزمنة لأن الشيء الموقت بمعين من التوقيت يكون الناس في أمن من حلوله في غير ذلك الوقت .

والزخرف : اسم الذهب . وأطلق على ما يتزين به مما فيه ذهب وتلوين من الثياب والحلي . وإطلاق أخذ الأرض زخرفها على حصول الزينة فيها استعارة مكنية . شبهت الأرض بالمرأة حين تريد التزين فتحضر فاخر ثيابها من حلي وألوان . والعرب يطلقون على ذلك التناول اسم الأخذ قال تعالى (آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) وقال بشار ابن برد : .

وخذي ملابس زينة ... ومصبغات وهي أفخر وذكر (ازينت) عقب (زخرفها) ترشيح للاستعارة لأن المرأة تأخذ زخرفها للتزين . و (ازينت) أصله تزينت فقلبت التاء زايا لتدغم في الزاي فسكنت وأدغمت واجتلبت همزة الوصل لأجل النطق بالساكن .

واعلم أن في قوله تعالى (أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا) إشارة لإدارة الاستئصال فهو ينذر بالتهديد للكافرين ويجعل التمثيل أعلق بحياتهم كقوله تعالى (حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) لا سيما وقد ضرب هذا المثل لتمتع الكافرين ببغيهم وإمهالهم عليه ويزيد تلك الإشارة وضوحا قوله (وظن أهلها أنهم قادرون عليها) المؤذن بأن أهلها مقصودون بتلك الإصابة .

ومعنى (أنهم قادرون عليها) أنهم مستمرون على الانتفاع بها محصلون لثمراتها فأطلق على التمكن من الانتفاع ودوامه لفظ القدرة على وجه الاستعارة .

والحصيد : المحصود وهو الزرع المقطوع من منابته . والإخبار عن الأرض بحصيد على طريقة المجاز العقلي وإنما المحصود نباتها . ومعنى (لم تغن) لم تعمر أي لم تعمر بالزرع . يقال : غني المكان إذا عمر . ومنه المغنى للمكان المأهول . وضد أغنى أقفر المكان .

والباء (بالأمس) للظرفية . والأمس : اليوم الذي قبل يومك . واللام فيه مزيدة لتملية اللفظ مثل التي في كلمة الآن . والمراد بالأمس في الآية مطلق الزمن الذي مضى لأن أمس يستعمل بمعنى ما مضى من الزمان كما يستعمل الغد في معنى المستقبل واليوم في معنى الحال . وجمعها قول زهير : .

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ... ولكنني عن علم ما غد عسم وجملة (كذلك نفصل الآيات) إلى آخرها تذييل جامع أي مثل هذا التفصيل نفصل أي نبين الدلالات كلها الدالة على عموم العلم والقدرة وإتقان الصنع . فهذه آية من الآيات المبينة وهي واحدة من عموم الآيات .

وتقدم نظيره في قوله تعالى (وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين) في سورة الأنعام .

واللام في (لقوم يتفكرون) لام الأجل .

والتفكر : التأمل والنظر وهو تفعل مشتق من الفكر وقد مر عند قوله تعالى (قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون) في سورة الأنعام . وفيه تعريض بأن الذين لم ينتفعوا بالآيات ليسوا من أهل التفكر ولا كان تفصيل الآيات لأجلهم . وتقدم ذكر لفظ القوم غير مرة في هذه السورة .

(وا يدعوا إلى دار السلم ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) الجملة معطوفة على جملة (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) أي نفصل الآيات التي منها آية حالة الدنيا وتقضيها وندعو إلى دار السلام دار الخلد . ولما كانت جملة (كذلك نفصل الآيات) تذييلا وكان شأن التذييل أن يكون كاملا جامعا مستقلا جعلت الجملة المعطوفة عليها مثلها في الاستقلال فعدل فيها عن الإضمار إلى الإظهار إذ وضع قوله (وا يدعو) موضع ندعو لأن الإضمار في الجملة يجعلها محتاجة إلى الجملة التي فيها المعاد .

وحذف مفعول (يدعو) لقصد التعميم أي يدعو كل أحد . والدعوة هي : الطلب والتحريض . وهي هنا أوامر التكليف ونواهيه .

ودار السلام : الجنة قال تعالى (لهم دار السلام عند ربهم) وقد تقدم وجه تسميتها بذلك في سورة الأنعام .

A E